و للروح ارتواء

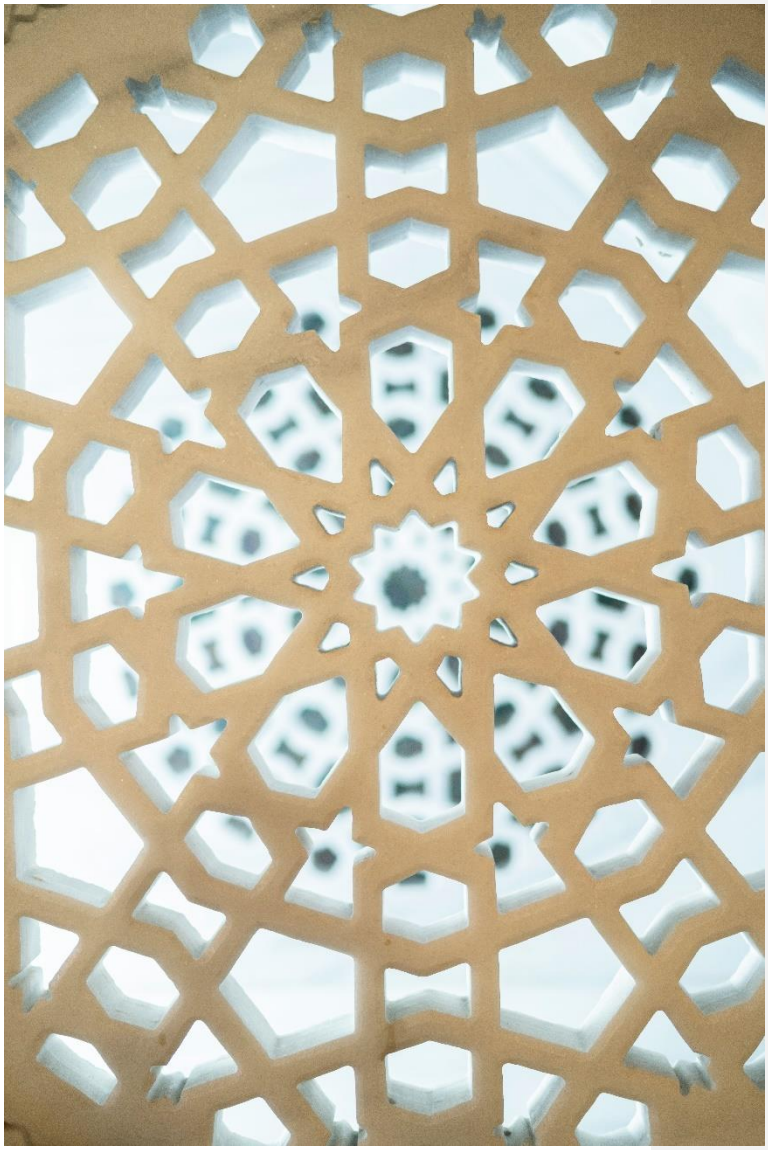

تفريغ محاضرة

رمضان كان البداية

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٥ / ١٠ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

حيَّ الله وجوهكم الطيبة المباركة، التي ملأتنا أشواقًا، مر أسبوعان على رمضان وكأنها بطولها سنتان، فقد كان آخر درس في السابع عشر من رمضان، وتحدثنا فيه عن أن انتهاز أيامه الباقية المباركة وأنه قصير سريع المضي، وبالفعل ما إن بدأ حتى انتهى في طرفة عين، فهو "أعظم زائر، وأعظم ضيف، وأقصر ضيف"، فما إن يبدأ المرء استعداده الإيماني أو التعبدي أو حتى الاجتماعي، إلا وانتهى سريعًا،

ونشعر الآن أنه مضى من وقت طويل جدًا، ولكن الحقيقة أنه لم يمر عليه سوى ستة عشرة ليلة، فتأملوا مليًا، هذه الأيام المعدودات ذهبت بكل ما فيها، منا من أحسن ومنا من قصر، ومنا المستكثر ومنا المستقل، وهناك من فاز، وأسأل الله ألا يجعل بيننا من خسر في هذا الشهر الفضيل، وقد تسابق فيه المتسابقون، وتنافس المتنافسون، وكل منهم عمل بما يستطيعه ويطيقه، ثم انتهى هذا الشهر، هذه الأيام القلائل المعدودات، كما تنتهي كل مرحلة من مراحل حياتنا،

وهذا هو رمضان، كأنه يعطينا درسًا يسيرًا عن معنى الحياة، ما من شيء تتشوق له وتبدأ فيه إلا وينتهي وتطويه كصفحة مضت من عمرك، وكذلك سينقضي العمر؛ فكل مرحلة، وكل يوم وكل وليلة، وكل شهر ينقضي كأنه يعطيك نموذجًا مصغرًا عن الحياة، أن العمر كذلك سينقضي.

الآن وبعد أن وعينا هذا الأمر ينبغي أن نتوقف قليلًا عند رمضان، وقبل أن نستمر أو نعود لحياتنا العادية، دعونا نثير سؤالًا: **كم هي نسبة نجاحنا في هذا الشهر حسب توقعاتكم؟**،

فلنتخيل أن الحجب كُشفت وكُتب فوق رأس كل منا معدل نجاحه، وكل منا ينظر إلى معدل نجاحه ونجاح غيره، فمن فينا في هذا المجلس من أعتق من النار؟ ومن فاز ووُفق في ليلة القدر؟ ومن فينا من غُفر له ما تقدم من ذنبه؟ سواء لقيامه؛ فمن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، أو لصيامه؛ فمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، من فينا الفائز بهذه الأجور؟ سؤال مهم ومؤرق، ولهذا كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف يأتيهم في ليالي العيد هذا الخاطر ويقولون " يا ليت شعري من المقبول فينا فنهنيه ومن المحروم فينا فنعزيه"

فأعظم الخسارة أن يمر عليك رمضان وينقضي وأنت لم تتغير؛ تخيلوا مثلا طلاب مرحلة ثانوية وقيل لهم أن نسبة النجاح هذا العام من خمسين ألف طالب هي ٣٠٪ فقط!، كيف سيبيتون تلك الليلة؟، وهم لا يعرفون من نجح ومن تعثر؟،

فتخيلوا مثلا لو كانت نسبة النجاح في رمضان هذا العام ٣٥٪، من فينا من نجح ومن الذي خسر؟ وفي آخر اللحظات يوم القيامة يحدث أمرًا مشابهًا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ : " أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ " فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ [أخرجه البخاري في صحيحه]

ذُعروا الصحابة رضوان الله عليهم في بادئ الأمر ثم بشّرهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه أمر جلل، فهو يوم تضع كل ذات حمل حملها! ويشيب الصغار! قضية كبرى، وموقف عصيب؛ لأنه تحديد مصير إما فوز وإما خسران، وهذا ما يجب أن يكون حاضرًا في أذهاننا على الدوام، فإن كنا نتساءل عمن فاز ومن قصر؛ هناك علامات تدلنا على جواب هذه التساؤلات، فليقس كل منا مقدار تغيره، ولينظر هل نجح في رمضان أم لا،

ومن علامات النجاح:

1 - **أن تجد في نفسك تغيرًا**، ألا تكون خرجت منه كما دخلت، وليس شرطًا أن يكون تغيرًا جذريًا، لكن أن تكون على الأقل خرجت بمجموعة قرارات، كأن تترك ذنبًا وتتخلق لديك قناعة أنك إن استطعت ترك هذا الذنب ثلاثين يومًا فليس صعبًا أن يكون طول العمر، فيكون عندك هذا التغير الذي تلمسه في نفسك وإن كان طفيفًا وليس عميقًا، وقد تستحقر هذا التغير لكنه علامة قبول، وهي أول علامة.

فإن أردنا الإجابة على هذا السؤال: "**كيف أعرف أني تغيرت وأنا لم أُختبر بعد؟ لم أحضر موقفًا يبين صدق تغيري**"، فالجواب هو بما تعلمته من دروس الحياة، كيف مرت علينا المواقف؟ أن يمر عليك الموقف العجيب وتتأثر منه هو علامة، فكيف تشعر حين ترى من أرهقه التعب ومع ذلك يسعى إلى حضور التراويح؟ قد نرى امرأة كبيرة في السن تحضر المسجد بجهاز التنفس! فلو قدر الله ألّا يكون معها الجهاز، لما استطاعت العيش، فما الذي دفعها للحضور وهي بهذه الحال؟ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فما قدر الشوق والحب الذان يملأن صدرها المتعب؟ ما هذه الرغبة الشديدة للعمل في رمضان؟ فهذا درس حياتيّ يعلمك حين تكون بأتم صحتك وعافيتك وتستطيع المشي على رجليك، ولا تشكو ركبتيك من أي ألم، وتنفسك لا صعوبة فيه، ثم تشعر أنك ثقيل ولا تطيق الذهاب، لأنك أكثرت من الأكل!.

من العلامات كذلك:

2 - **تغير الأهداف**، فإن كانت أهدافك قبل رمضان، مجرد وظيفة مرموقة، أو ترقية في العمل، أو أيًا من هذه الأهداف الدنيوية، ثم تبدلت تلك الأهداف، وأقمت هرم الأولويات المقلوب على رأسه، فصارت الآخرة في مقدمة القائمة، ووعيت أن جهدك كله مبذول في غاياتٍ دنيوية، فتعطي عملك اثنا عشرة ساعة، والصلاة لا تأخذ من وقتك سوى خمس دقائق أو عشرة.

فرمضان ليس هو النهاية، هو فقط بداية، هناك من يظن أنه شهر وانقضى، ككل الشهور، فكأن كل مجرياته من قيام وصيام وبكاء وختم قرآن هو صفحة تطوى من أول دخول العيد،

بل رمضان هو بداية لقلوب وُلدت لتوها، ولقرارات ما كانت لتكون في غيره، كيف يكون النهاية وفيه ليلة القدر؟! التي تُكتب فيها مقادير عام كامل، وكان يقول السلف: "رب رجل يضرب في الأسواق وقد نزل اسمه في ليلة في الأموات"، فربما يكون انتهاء أجلك في جمادى الأولى، أو الآخرة، في أول الشهر أو أو نصفه، غافل عن موعد وفاته المُنزل في ليلة القدر، فهذا الشهر الذي تتنزل فيه الآجال والمقادير والأعطيات، لا يمكن أن يكون نهاية، هو بداية ما يستقبل من عمرك، فمثلنا كمثل رجل أنهكه التعب، فأُخذ إلى مصح، وعُولج من كل علة، وقام كأنما نشط من عقال، وعاد من المصح ببدن أقوى، ومزاج أصفى، ويفعل بأرواحنا رمضان كهذا أضعافًا مضاعفة، وهو سر سكينة الأرواح وطمأنيتها العجيبة في الشهر الفضيل، فيتمنى الإنسان لو أن السنة كلها رمضان، يا ليت هذا الهدوء لا يُبدّل إلى صخب السنة المزعج، يا ليت الفتن تكف عن تعرضها لنا ككفها عنا في رمضان، ولهذا رمضان ليس هو البداية بل هو النهاية.

<u>سأوصيكم بست وصايا نعمل بها بعد رمضان ولكن قبلها، لنتحدث عن خمس مشكلات رئيسة تواجهنا، وربما واجهتك خلال هذه الأسبوعين:</u>

المشكلة الأولى: أن تقارف ذنبًا كبيرًا، بعد رمضان مباشرة ودون شعور، كأن تحضر احتفال فيه غناء وطرب، بعد أن قطعت عهدًا على نفسك أن تترك الأغاني والمعازف، وزيّنت لك نفسك أن تذهب للحفل، وأنك إن لم تفعل فستمل ولن يكون عيدًا مبهجا، وهذا ذنب كبير أوقعت نفسك فيه، فما هكذا تُقابل جائزة رمضان، وتتساءل كيف أغوتك نفسك وأنت الذي اعتكفت عشرة أيام، ومكثت ساجدًا قائمًا ولم تفرط بركعة، ولم تكن معصية صغيرة هينة بل كبيرة مخزية.

هذه أول مشكلة ممكن تواجهك، وهي: أن تقارف ذنبًا كبيرًا دون شعور، وسنجيب عنها في الوصايا

ويترتب عليها مشكلة ثانية:

المشكلة الثانية: أنك تكون طيبًا ومستقيمًا ومنقطعًا عن الشرور والمعاصي طيلة رمضان حتى إذا قيل غدًا العيد، عدت إلى حياتك القديمة، وتراءت أمامك المغيرات، احتفالات، وجمعات، وخلطة كثيرة، وأنت ما زلت تتردد، لم تجزم في قرار التوبة، وبعد ما انتهت الاحتفالات، تفيق فتتساءل: ما الذي فعلته؟!، هل هو دليل أني لم أكن من المقبولين في رمضان؟ وأني لست بذي فائدة، ولا أمل من صلاحي.

فيشعر المرء أنه وفي زحام المناسبات الاجتماعية كان في غفلة، فييأس من تغيره.

المشكلة الثالثة: الشعور بالتيه، وهو شعور يخالج الكثير منا، هل تشعر به؟ أنك محتار لا تدري ما الذي تفعله، بعد أن انتهى رمضان لا تعلم هل تعود لمشاهدة التلفزيون؟، ويصحب هذا الشعور شعورًا بالهم، فلا تريد أن تعود، ولكن لا يوجد بدائل، ولا تود أن تترك المتعة ولا أن تفارق تلك الجمعة، وتحب ذلك المجتمع كثيرًا، ولن تقوى على تركه وبناء على الذنب الكبير أو الذنوب الصغيرة، التي ولّدت فيك اليأس.

وبناء على التيه الذي شعرت به، أحسست بشيء غريبٍ، من ثاني أيام العيد وهو ملازم لك، ضيق لا تعرف سببه، وهذا الضيق؛

يولّد المشكلة الرابعة، وهي: أن تعود لدائرة الراحة وهي الغفلة، تشعر بتعب من التفكير، وتعب من اتخاذ القرارات؛ ويكون الحل الأمثل؛ الغفلة، وتعود إلى تلك التجمعات، والملهيات، وتستمر على هذا المنوال، في وسط خلاط الحياة، وهكذا حتى تقع في فخ المغيرات، وتعيش تلك التفاصيل يومًا بيوم ولحظة بلحظة، تنام وتفيق وقد انتهى العمر وأنت على هذه الحال، فما أعجب أن يقول الإنسان ما أسهل أن أعود لغفلتي، من غير شعور بتأنيب ضمير، ولا رغبة بالتغيير.

هذه هي أكثر أربع مشاكل تواجهنا بعد رمضان، فربما كانت المناسبات كثيرة، والبيت لا يخلو منها، فانشغلت هذه الثلاثة أيام أو الأسبوع كاملًا، ولنتغلب على هذه المشاكل ونوجد لها حلًا يكون بأن تعيد حساباتك وتضبط البوصلة، وهذا ما اجتمعنا له اليوم لنتكلم عن سبع نقاط رئيسة:

<u>الأولى: ألا تعود إلى ماكنت عليه قبل رمضان مهما يكن</u>

لا تسمح لنفسك بالعودة إلى ما كانت عليه قبل رمضان، حاول الإتيان بالتغيير من الشرق أو من الغرب، بالقوة أو باللين، بالإكراه أو بالطوع، فعد بنفسك إلى رمضان _متجاهلًا ذلك الأسبوع الذي فلت منك_ وراجع نفسك، ما هي الالتزامات التي فرضتها على نفسك؟، التوبة من الآثام، الازدياد من الطاعات، فالشياطين كانت متسلسلة ثلاثين يومًا، تسن أسنانها، ومملوءة غيظًا مما أنت عليه من العبادة والتقرب إلى الله، تترقب بفارغ الصبر أن يحل وقت خروجها لتنقض عليك، فيأتيك الشيطان بعد ثلاثين يومًا، وهو يتفلت ويقاوم قيوده؛ ليدمر كل ما بنيته في رمضان، وهذا ما يسمونه معارك الاسترداد، يريد أن يسترد المساحات البيضاء المنيرة بقلبك، ليحيلها ظلامًا

دامسًا، فيذكرك بآخر حلقة من ذلك المسلسل، ويصوّر لك أن ذلك الفيلم بريء خال من المقاطع الإباحية، فيأتي بكيده ليسوّل لك فعل المعاصي ليستزل قدمك إلى هاوية الذنوب، ويدنّس ما تطهر منك بخبثه، ويحسّن لك الذنوب التي تبت منها، ويعود لاستحلال أراضيك التي حررتها من استعمار الآثام، ليحتلها مرة أخرى، والشيطان لا يلعب لعبته هذه مع العازمين، وأصحاب القرار القوي، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أقوى عزمًا من أن يوسوس له الشيطان بل كان كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» [أخرجه البخاري في صحيحه]، فإذا هرب منه إلى أين يذهب؟ يذهب للمترددين، الذين يرتجفون حين يطرأ عليهم خاطر الترك، فاعزم على الرشد، إن علمت أن هذا الأمر واجب والله عز وجل يريده، فنفذه سريعًا، لا تعط نفسك وقتًا لتفكر أكثر من اللازم.

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَعبُدُ اللَّهَ عَلىٰ حَرفٍ...﴾ [الحج: ١١] أي أنه لا يعبده حق عبادته، فلا تكن منهم واصطبر على طاعة الله، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتِ الطّامَّةُ الكُبرىٰ ۝ يَومَ يَتَذَكَّرُ الإِنسٰنُ ما سَعىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الجَحيمُ لِمَن يَرىٰ ۝ فَأَمّا مَن طَغىٰ ۝ وَءاثَرَ الحَيوٰةَ الدُّنيا ۝ فَإِنَّ الجَحيمَ هِيَ المَأوىٰ ۝ وَأَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوىٰ ۝ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوىٰ﴾ [النازعات: ٣٤ - ٤١]

وهذه الآيات على قصرها إلا أنها تحوي قاعدة شرعية مهمة، وهي أنك إن خالفت هواك نجوت، وإن اتبعته هلكت، فإذا حدثتك نفسك ووسوس لك الشيطان، واجتمعا عليك ليضلوك، فقل بل لي مقام أمام عز وجل ليس بيني وبينه ترجمان، فإن سألني عن ذنوبي، لن ينفعني عذر "أن أحدًا أمرني"، أو أن كل الناس يفعلون هذا الذنب ولم أقدر على الرفض، أو أن المجتمع كان يدفع لهذا الاتجاه، ﴿وَأَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوىٰ ۝ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١]

مرتبك في الجنة تعلو كلما قلت لا، وأما من طاوع نفسه، فصار يلبي لها رغباتها وأهوائها، وإن فضّلت النوم نام، وإن أرادت الأكل أكل، وإن اشتهت الراحة ارتاح، وإن فلتت للهو والضياع ضاع معها، فكأن نفسه تجره بقيد من عنقه إلى حيث شاءت، ولهذا لا ينجو إلا ذو عزيمة، ففي رمضان نفسك دومًا محلقة، لأنك كنت تطعم روحك طوال الوقت، وكان لديك عزم في فعل الخير ووصله بالخير، كأن تنتهي من عبادة وتتبعها بالتي تليها؛ لأنك كنت تغذيها طوال الوقت، فلما قطعت عنها الغذاء فجأة، بداية من يوم العيد، عادت حياتك كما هي، وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في حديث طويل، وفي مقدمته: " يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ... " [أخرجه البخاري في صحيحه]

فأكثر ما يغفل المرء في الأعياد، والفرح في العيد هو عبادة لا شك، لكن كيف أمسيت تلك الليالي؟ هل أديت نصيبك من قيام الليل؟ هل داومت على وردك من القرآن؟، أطلت في بعدك عن الله، وهذا هو معنى الغفلة كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالأمانة قيل هي الأمانة المعروفة، وقيل هي من أسماء

الإيمان، ثم (ينام النومة) أي: تغفل ثانية، ثم يرفع ما بقي منها في صدرك، ويبقى أثرها مثل المجل، وهو الانتفاخ الذي يصيب يد الفلاح بعد استخدامه الفأس، فهكذا يبقى أثر الإيمان في القلب، يصبح كالذكريات، فتمر أيام العبادة، والاعتكاف في المسجد، على البال كشيء كان وانقضى.

ولنتدارك زوال الإيمان، عليك ألا تعود للحال الذي كنت عليه قبل رمضان، وأرشدنا الله عز وجل للحل في سورة الأعراف، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُم طٰئِفٌ مِنَ الشَّيطٰنِ تَذَكَّروا فَإِذا هُم مُبصِرونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

لا أحد منا معصوم، ولا أحد من الجالسين الآن إلا وقد وسوس له الشيطان، فلم يترك أحدًا منا، ويذكّرنا بالسوابق التي مرت عليها السنين، وربما قد يكون ذنبا من خمسة عشرة سنة، ولكن لا ضير لأن كيد الشيطان ضعيف، والله أخبرنا كيف نقاومه فقال: ﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُم طٰئِفٌ مِنَ الشَّيطٰنِ تَذَكَّروا فَإِذا هُم مُبصِرونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فإذا أذنب بفعل محرم أو ترك واجب، تذكّر ثواب الله وعقابه؛

وكلٌ منا له شيء يذكّره بالله ويزيد إيمانه، منا من تذكّره: الجنة ونعيمها، ومنا من تذكره النار وعذابها، وآخر يذكّره القبر وظلمته، ومنا من يزيد إيمانه بسماع دروس عن أسماء الله الحسنى، وأخرى تذكرها حلق القرآن، وهكذا كل منا له صمام أمان مختلف، فجاء التعبير: تذكروا فإذا هم مبصرون، فكأنه في ظلمة منعته من الأبصار،

وجاء في هذه السورة نفسها خبر عالم من علماء بني إسرائيل، عبد الله سنين ثم ماذا؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذى ءاتَينٰهُ ءايٰتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطٰنُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فهذا المنتكس يقابله المتقي، الذي ما إن مسّه الشيطان تذكر فإذا هو مبصر، فالمتقي هو الذي لا يعير الشيطان أي انتباه لوساوسه، ولا يترك له أي مجال، بل يهم مباشرة بعمل الطاعات، لئلا يجد الشيطان في قلبه جزءًا يعشعش به، أو نافذة إلى قلبه تمكنه من الوصول إليه، وهذه هي الوصية الأولى كن من المتقين وصاحب الصالحين، ولا تسمح لنفسك أن تعود كما كنت قبل رمضان.

الثانية: احترم ضعفك

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس: ٢٥] وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ " [أخرجه الترمذي في سننه ، وقال الالباني : صحيح]

هذه الستور مرخاة على محارم الله عز وجل؛ على الشهوات، فالإنسان ضعيف ومركب أصلًا من هذا الضعف؛ فتأملوا النهي الإلهي لم يكن: "لا تزنوا"، وإنما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]

يمكن أن تحدثك نفسك بأنك الآن أضبط وأحسن، وأنك بعد رمضان تستطيع أن تقاوم كل شيء، ولكن نصيحة: لا تجعل نفسك في مواجهة الذنب، لا تفتح تلك القناة، لا تستمع لصاحب السوء ذاك، لا تذهب لتلك الجمعة الموجود فيها من يشرب ذاك الشراب، أو يتحدث فيها بذلك الحديث المثير المؤجج للشهوات، اجتنبهم تماما،

وحين تعرف ذاك كله لا تقترب منهم حتى؛ لأنك ضعيف؛ فاحترم ضعفك، قد تكون أحيانًا من أقوى الأقوياء، لكن تأتيك لحظات تكون فيها أضعف الضعفاء، وربما لو سوّل لك الشيطان، بأبسط شيء؛ غرفت في الحرام، وهذه أوضح علامات الضعف، أنك قد تراودك الشهوات؛ فيزينها الشيطان في عينيك؛ فتغرق بها مباشرة،

والحل هو: ألا تقترب من الحرام أساسا، كما ترى لائحات "منطقة خطر لا تقترب"، النبي عليه الصلاة والسلام يقول «من سمع الدجال فلينأ عنهُ فواللّه إنَّ الرجلَ ليأتيهُ وهو يحسبُ أنه مؤمنٌ فيتبعه مما بعث به من الشبهاتِ» [أخرجه أبو داوود في سننه، وقال الألباني: صحيح]، هو ليس شخصًا مبهمًا ولا وسيما يفتن الناس بجماله، وإنما رأسه مثل الزبيبة، أعرج، أفحج، أعور، مكتوب على جبينه كافر، قبيح ودميم، وواضح الخلقة، ومع ذلك هو الفتنة الأخيرة التي سيفتن فيها الناس ولن ينجو منها إلا قلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛

لذلك عند فتنة الدجال ليس مطلوبًا منك المواجهة، وإنما المطلوب منك هو لزوم بيتك، أن توصد على نفسك وأطفالك ونسائك الباب، فلا مجال للفضول الآن، وفتنة المسيح الدجال هي فتنة عظيمة؛ لأنك حين تعلم أن رجلًا يمر على قرية فلا تؤمن بها فيجعلها خراب، ويمر على أرض جرداء فيجعلها بنيان وعمران، وبساتين، ينبت فيها الثمر؛ فإنك ستمتلئ فضولًا لرؤيته، فمن يملك هذه القوة إلا إنسان له كرامة، ولكن ماذا إن كان إنسانًا أعورًا، رأسه كأنه زبيبة، أعرج، أفحج؟ كل ذلك ليس له قيمة؛ فلا تختبر قوتك ولا تضع نفسك أمام معصية، وتدعي أنك تستطيع أن تقول لا، فالباب الذي لا تريد فتحه لا تقربه، واترك كل ما يذكرك بطعمه أو رائحته أو الأجواء التي كانت فيه، لا تقربها وأعلن ذلك إعلانا، وأخبر من حولك أنك تائب من هذا الأمر، لكيلا يُحضروا ذلك المنكر، أو يتحدثوا به، وهذا من احترام الضعف.

حين يقول الأطباء: "الوقاية خير من العلاج" لأنك إن لم تفعل الذنب سيكون أسهل بكثير من أن تذوقه، فمتى ذقته؛ أصبح الشيطان يذكرك فيه على الدوام، كما أن الناس حين يشربون الخمر لأول مرة، يقولون أنها مرة ومزعجة، فكيف يتذوقونها مرة ثانية وثالثة ورابعة؟!، كيف يزين الشيطان، هذا الشراب المر ذو الرائحة السيئة؟!، يزين الشيطان هذا المر لما تشتهيه النفس، ولهذا ترك الحرام خير من أن تلجه، فالفرق بين أن تقارف الذنب وأن تجتنبه؛ هو أنك حين تذنب يتعين عليك أمرين:

- التوبة
- مجاهدة النفس لئلا تعود

وبهذا يتبين عزم البدايات وصدقها؛ فالله سبحانه وتعالى ينظر إليك في مرحلتك الأولى؛ فإذا اتخذت قرارات بعد رمضان؛ فاعزم عليها، وتفكر في حالك، هل أنت ثابت على قراراتك؟ هل أنت صادق بأنك لن تتراجع؟ أم أنك تعبد الله على؟! فالله ينظر إليك ويرى مجاهدتك، وإن صدقت نيتك؛ أعانك الله؛ ليزول الذنب من قلبك؛ فتصبح مشمئزا من الذنب.

أؤكد مرة أخرى: لا تدخل في صراع مع نفسك أبدًا، وتذكر قصة عالم بني إسرائيل، لمّا انسلخ من طاعة الله عز وجل ﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذى ءاتَينٰهُ ءايٰتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطٰنُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، فليس الألم فقط فعل المعصية وإنما ترك الطاعة أيضًا، بنفس الألم،

ولهذا تجد نفسك ضيقة في أول يوم العيد أو ثانيه؛ لأن طاعات كثيرة تركتها، وقد كانت روحك تتغذى عليها؛ فالآن جاعت، فأين الخير الذي كانت عليه؟!، الانسلاخ هذا لم يكن علم يوم أو يومين، وإنما انسلخ من كل الآيات والعلم الذي أعطاه الله إياه، وبعدها:{فأتبعه الشيطان} لاحظ التعبير القرآني بفاء التعقيب، فكأن الشيطان مباشرة ركض خلفه حين رآه ينزع إيمانه: ﴿...فَكانَ مِنَ الغاوينَ ۝ وَلَو شِئنا لَرَفَعنٰهُ بِها وَلٰكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَوىٰهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذٰلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِـٔايٰتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] وهذا كما في القاعدة السابقة إذا اتبعت هواك؛ ستُجر بسلسلة إلى الجحيم وستكون مأواك، فيجب على الإنسان أن يؤثر الإنسان مقام ربه.

الثالثة: استقم ولا تتردد

لوط عليه السلام كانت مشكلته في قومه أنه لم يفعل مثل ما فعلوا، ولماذا عاداه قومه؟ قال الله عز وجل ﴿قالوا لَئِن لَم تَنتَهِ يٰلوطُ لَتَكونَنَّ مِنَ المُخرَجينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] وقال: ﴿وَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إِلّا أَن قالوا أَخرِجوهُم مِن قَريَتِكُم إِنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] فلا تتوقع أن قرار التوبة سيكون سهلاً على من حولك لأنهم سيقولون: "هل أنت أحسن منا؟ هل نسيت ما كنت عليه؟ أنت قارفت هذا الذنب وذلك" ويسردون لك تاريخ حياتك، وهذه كانت مشكلة لوط عليه السلام أنه قال: "لا"!، لأنهم لم يريدوا أن يتطهروا من الذنب، فالمجموعة حين يتوب منهم واحد لا يشجعونه ويصفقون له، بل على الأغلب يتساءلون: "لماذا فعلت بنفسك هكذا؟"، "لماذا تتنقبين فالموضوع به خلاف"، ويضعون لك ألف سبب كي لا يبدو بأنهم على خطأ؛ لذلك أنت دورك: أن تستقيم ولا تردد.

قَالَ صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " [أخرجه البخاري في صحيحه]

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:

أولاً: **مَن كان اللهُ ورسولُه أَحَبَّ إليه ممَّا سِواهما** ولو أبناء عمي أو أبناء خالي ولو كان أقاربي ولو كان المجتمع كافة، الله و روسوله أحب إليّ مما سواهم ورأينا أناس في بلدان أخرى كان صعباً جداً عليهم أن يتمسكون بدين الله عز وجل ومع ذلك ما أن يسمعوا أن هذا الأمر أرضى وأحب إلى الله إلا اتبعوه فلا يدخلون في نقاش فقهي أو خلاف وإنما يسألون أحب إلى الله ؟ أرضى إلى الله ؟ فسأفعله.

ثانياً: **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**، فلا يحب فلان لأنه مضحك، أو يسعد قلبي بحديثه، هناك فرق بين أن تحب شخصا فقط لله؛ لأنه يذكرك بالله، كما لو كنت في زحمة الدنيا وترى اتصاله تتذكر الله، أو حين تصلك منه رسالة تتذكر الله، حتى وإن لم تكن تلك الرسالة وعظية؛ تلك هي الرفقة الصالحة التي تتمسك بها وتبحث عنها؛ لأنها تقويك في لحظات الضعف، وتساعدك أن تشق طريقك ولا تجلس فيه وحدك.

ثالثاً: **أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**، في مقابلة مع روسية حديثة الإسلام سألتها المحاورة: "كيف كان وضعك قبل الإسلام؟" فأجابت: "لا أتذكر، كانت حياتي كالحلم أو الضباب"، فـ"لا أتذكر" هذي الكلمة التي قالتها هذه المسلمة ماذا تعني؟، الجواب هو: أن غالبًا المسلمين الجدد حين تذكرهم في حين دخولهم أو حتى بعد سنوات وتسألهم: "كيف كنت أيام الكفر؟" ونشتهي نحن أن نسمع المغامرات؛ كيف هي حياة الشر؟؛ لنعرف النقلة، وكيف كان وكيف صار، لكنهم لا يحبون الحديث عما كانوا فيه؛ لأنه مؤذي!، يجعلهم يتساءلون: "أين كانت عقولنا؟"، كيف فعلنا هذا؟، أين فطرتي الطبيعية؟"؛ لذلك لا يهون عليهم الحديث عن الفجور والفسق الذي كانوا فيه وهذا معنى: "وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " [أخرجه البخاري في صحيحه] فمهم ألا تسمح لنفسك أنها تعود إلى المعصية.

ولذلك خذها هنا قاعدة: **كلما زاد كرهك للمعصية؛ زاد الإيمان في قلبك، وكلما زاد حب الإيمان لديك، زاد كرهك للمعصية،**

فإذا كان هناك معصية تهواها، وتشعر باستحالة تركها، حتى إنك ترجو أن يفتي شيخ بجوازها، كما حللوا الشيوخ كثير من الأمور بعد فترة طويلة من تحريمها، فتتحسر على التوبة منها، وهذا دليل على أن الإيمان ليس راسخًا في القلب، لأنك تعرف حرمتها ومع ذلك لم تتركها بعد، وهذا هو التلازم بين قوة الإيمان وكره المعصية، فكان من دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام: "..اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ... " [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح]، وهذا دعاء مهم؛ لأن ليس كل الإيمان ولا كل الطاعات يجد الإنسان في قلبه أنه يحبها يعني أنك ربما تحب نوعا معينا دون الآخر، كأن تحب تلاوة القرآن ولكن لا تحب قيام الليل أو لا تحب الصيام، أو مثلا أنتِ لا تحبين الستر ولا أن يكون الحجاب ضافٍ، وحين

تدعو الله -عز وجل- بهذا الدعاء: (**اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلبي**) تجد حتى تلك الأشياء التي كانت في يوم من الأيام من أكره الأشياء لك ولا تتخيل أنك يمكن أن تفعلها في يوم من الأيام، وإذا بك لا تفعلها وحسب بل وتعشقها وتحب فعلها،

وكذلك (**كرِّهْ إلي الكفر والفسوق والعصيان**) ليس الكفر وحده حتى الفسوق حتى العصيان حتى المعصية المستحقرة؛ فلا تعد بعدها بحاجة لمجاهدة نفسك على تركها، تجد أنك تبغضها وتشمئز منها، قد تتساءل الآن من يستطيع أن يصل لهذا الحد، والجواب في نماذج قد مرت عليك أثناء ختماتك للقرآن،

يوسف -عليه السلام- ماذا قال؟﴿... رَبِّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا يَدعونَنى إِلَيهِ ...﴾ [يوسف: ٣٣] ما الذي كانوا يدعونه إليه؟ كانوا يدعونه إلى جلسة ماتعة، فيها مجموعة نساء، ومجون وطرب، ويُقال له اخرج عليهن يا يوسف ومع ذلك يقول: ﴿... رَبِّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ...﴾ [يوسف: ٣٣] لم تكن كلمة زل بها لسانه، فقد لبث في السجن!، وكم لبث؟ بضع سنين، قيل ثمان سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة؛ ليس سهلا أن نقول: "رب السجن أحب إلي" لكن هو لم يكن عنده مانع من السجن إذا كان سيمنعه من الدخول في مكان يعصى فيه الله -عز وجل-.

إليك مثالًا أوضح وأعظم منه: إبراهيم -عليه السلام- حين خُيِّر بين أن يرتد ويسجد للأصنام وأن يبقى موحدًا لله -عز وجل- فاختار أن يبقى موحدًا لله فألقوه في النار!، النار الكبرى التي كان يشاهدها وهم يوقدونها ويشعلونها، لأيام كما يقال، وقيل شهر كامل؛ ثأرًا لآلهتهم التي كسرها إبراهيم -عليه السلام-، فتأملوا أنه يصبح ويمسي وهو ينظر للنار العظيمة التي سيحترق فيها، ولم يكن يعرف إبراهيم -عليه السلام- أنه حين يقذف في النار أن الله سيجعلها بردًا وسلامًا ، كان يظن أنه سيموت في سبيل الله، وأنها اللحظات الأخيرة؛ الاستشهاد في سبيل كلمة: "لا إله إلا الله"، ولكن لم تكن هذه النهاية، ولم تكن هذه آخر تضحياته عليه السلام، بل هاجر بعدها وبنى البيت؛ الكعبة المشرفة، وما حدث له مع زوجته هاجر، فهؤلاء كرهوا أن يعودوا للكفر كما يكره الإنسان أن يقذف في النار، ولذلك تذكر أن تستقيم ولا تتردد؛ نفذ قرارات التوبة الآن، فقد أنهيت مناسباتك الاجتماعية، وفرحت بالعيد، وآن الأوان لعتود إلى جدولك، هل أدرجتَ فيه صيام الست؟ هل بدأت بصيام القضاء الآن؟، هل للاثنين والخميس مكانا في جدولك؟ وماذا عن ثلاث أيام من كل شهر؟ هذه أجور وعبادات؛ فعد إلى الدائرة التي أحطت نفسك بها ولا تجعل إيمانك يتحول إلى مجرد ذكريات.

الرابعة: هي قول الله عز وجل: ﴿فَإِذا فَرَغتَ فَانصَب﴾ [الشرح: ٧]

أريتم ذاك الذي قارف الذنب الكبير مباشرة بعد رمضان؟ أين كان الخلل؟ أنك أول ما أحسست بالفراغ بعد العيد؛ أردت أن ترفّه عن نفسك وأنك تستحق ذلك لِما فعل من الطاعات، بسبب اعتكافك وختمك فاستحسنت أن تلهو وتلعب، ولكن ماذا قال الله عز وجل: {فإذا فرغت} فالعب؟، فامرح؟، فروّح عن نفسك؟ لا، بل قال سبحانه وتعالى: {فإذا فرغت فانصب}، حين تخرج من عبادة ادخل في عبادة، حتى وإن كانت أقل منها، ولكن لا تخرج من عبادة لتدخل في

معصية، فهذه النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، وخاطب نفسك حين أردت أن ترتاح، هل جلست في منزلك؟ بل خرجت تدور وتبحث، نفسك تسيّرك حيث يشتهي هواك، فعليك أن تبيّن لها حدودها، ولا تترك لها أي منفذ لفعل الحرام.

أما من ساءهم حالهم في رمضان، ومن لم يسرهم تقصيرهم في العشر الأواخر، ومن يظن أنه فاته خير ليلة القدر، لأنه كان متعبًا في ليلة ثلاث وعشرين، أو كان له ظرف في ليلة خمس وعشرين، وكذلك في تسع وعشرين لم يوفّق لها، نبشّرك أن عطاءات الله ليست محصورة في رمضان فقط، والعتق من النار لا يقتصر عليه كذلك، بل الله دائم العطاء، أقبل على الله ومتى ما أقبلت على الله جاءتك الخيرات وأقبلت عليك، فمن رحمة الله بنا أن العلاقة مع الله لا تنقطع، فلماذا نؤخر الأعمال الصالحة ونرجؤها إلى رمضان، كأننا لا نعرف أنه ينزل سبحانه وتعالى في كل ليلة ويقول: (هل من سائل فأعطيه، هل من تائب أتوب عليه، هل من مستغفر، فأغفر له، هل من داعٍ فأجيبه) تخيلوا قدر الوحشة والقسوة والجفاف لو لا رحمة الله بنا، فالله معنا دائما، ولكن من الذي يستقبل تلك العطاءات، {فإذا فرغت فانصب}.

الخامسة: راجع خط سيرك

وهنا عد بتفكيرك للوراء، كم هو عمرك؟ ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٥٠؟ عد إلى أول رمضان وعيت به، وبدأت بالاستعداد له، وارسم خط سير يبدأ من أول رمضان إلى آخر رمضان، وانظر إليه أفي تقدم هو أم في انحدار؟ أم أنك ما زلت في نفس المستوى؟، لا تفكر هل بـ (هل أعتقك الله من النار أو لا)فالعتق أمر غيبي علمه عند الله، وإنما ما يجب أن تتساءل عنه هو: (هل غيرني رمضان أم لا)، فعليك دومًا بمراجعة خط سيرك، أن تبصر ما الذي يفنى به عمرك، وأن تعي أنك تسير رغبة في الوصول إلى هدفك الأكبر؛ إلى رضى الله، إلى الجنة، فهل أنت تستعد لليوم الآخر أم لا؟، فهذا ما خُقلت له.

أهمية أن تراجع خط سيرك تكمن في ألّا تعود إلى نقطة الصفر؛ إلى حيث بدأت أول مرة، وألا تتجه بوصلتك إلى الدنيا فقط فتسير إليها، فاضبط سيرك على الصراط لئلا تسقط في النار، واجعل بينك وبين النار فجوة كبيرة من الأعمال الصالحة؛ التقوى، والصدقات، والقرارات الحتمية، ولا تجعل ما بينك وبينها شبرًا واحدا، تخيل أن أعمالك في جدول بياني واحرص أن تبقى خطوطك مستعلية في الأرقام الموجبة، واحذر كل الحذر أن تنحدر للسالب، هكذا تراجع نفسك وتحاسبها، ولا تسمح للشيطان أن يجرك للأسفل، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذينَ قالوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقٰموا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلٰئِكَةُ أَلّا تَخافوا وَلا تَحزَنوا وَأَبشِروا بِالجَنَّةِ الَّتى كُنتُم توعَدونَ﴾ [فصلت: ٣٠] فيجب أن تراجع خط سيرك وإن كان مستقيما.

"استقيموا ولا تعوجوا" عد إلى هذا الحديث وتفكر فيه، وتفكر في: "لا تفتحه، إن تفتحه؛ تلجه"، لا تغامر في متاهات الذنوب، فلن تخرج منها، واستقم على أمر الله سبحانه وتعالى، فعد وانظر إلى ركعاتك في الليل، ولا ترض أن تنقص منها ركعة، وراجع الركعات نفسها، كم من آية تقرأها في ركعتك؟، وبهذا تكون المراجعة.

ولذلك أهم نصيحة في النقطة الخامسة هي: **صاحب القرآن، صاحب القرآن ولا تترك لنفسك فرصة أن تدعه**، فكيف بعد رحلة طويلة مع القرآن تضعه جانبًا؟، ليست التلاوة المجردة هي التي تغيرك، إنما تتغير إذا عملت به.

قال الله عز وجل: ﴿الَّذينَ ءاتَينٰهُمُ الكِتٰبَ يَتلونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ...﴾ [البقرة: ١٢١] قال الطبري في تفسيره: عن ابن عباس وابن مسعود والحسن البصري ومجاهد وقتادة، كلهم أجمعوا أن {حق تلاوته}؛ أن تعمل به، فما نزل القرآن لمجرد القراءة،

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذينَ إِذا ذُكِّروا بِـٔايـٰتِ رَبِّهِم لَم يَخِرّوا عَلَيها صُمًّا وَعُميانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، تُقرأ عليهم الآيات، فلا يتعامون ويتصممون عنها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هـٰذِهِ إيمـٰنًا...﴾ [التوبة: ١٢٤]، فكانوا الصحابة رضوان الله عليهم، تؤثّر فيهم الآيات ويزدادون بها إيمانًا، المجتمع كله يتغير بسببها،

اقرأ سورة النور اليوم، وتدبر في كمية الأحكام التي جاءت في هذه السورة، وتفكّر في مدى التغيير الذي حدث في المجتمع وانقلب رأسا على عقب بعد هذه السورة، الشائعات توقفت، الزاني يُرجم، قذف المحصنات ولّى زمانه، الاستئذان حتى للأطفال وما ملكت اليمين، ﴿... ثَلـٰثَ مَرّٰتٍ مِن قَبلِ صَلوٰةِ الفَجرِ وَحينَ تَضَعونَ ثِيابَكُم مِنَ الظَّهيرَةِ وَمِن بَعدِ صَلوٰةِ العِشاءِ...﴾ [النور: ٥٨]، فتفكروا بحال الناس قبل هذه السورة لا بعدها،

وأيضًا سورة الحجرات، وما أنزل الله فيها من الآداب؛ آداب المجالس، وآداب التعامل مع الناس، فعندما نتعلم آداب القرآن لا بد أن نعمل بها، وأخبر الله سبحانه بمهمة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿كَذٰلِكَ أَرسَلنٰكَ فى أُمَّةٍ قَد خَلَت مِن قَبلِها أُمَمٌ لِتَتلُوَا۟ عَلَيهِمُ...﴾ [الرعد: ٣٠]، فيتلوها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليحدث هذا التغيير، النبي عليه الصلاة والسلام تكلم عن حادثة في آخر الزمان قال: «هذا أوان يُرفع فيه العلم ويُختلس فيه العلم اختلاسًا، ويُوشك أنْ يرفع العلم». فكُبر ذلك على الصحابة، قالوا: «يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن؟ والله لنَقرأنه ولنُقرأنه أبناءنا وليقرأنَّ أبناءنا أبناءهم، وسنوصي أنفسنا وأهلينا وأنفسنا بذلك. فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: "ثكلتك أمك يا ابن لبيد إنْ كنت لأراك من أفقه أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل بأيد اليهود والنصارى، ما أغنت عنهم حينما تركوا أمر الله"، ثم تلا النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٦٦]». فلم تكن الآية: ولو أنهم قرأوا التوراة والإنجيل، بل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ فلو أنهم أقاموها بمعنى أنهم عملوا بها وأقاموا هذه التوراة والإنجيل لفازوا فوزًا عظيمًا.

فمهم أن يكون في كل بيت مدارسة لكتاب الله كما هو نهج السلف الصالح، وكل من ينوي أن ينشئ حلقة حفظ، لا بد أن يكون فيها مدارسة أيضا؛ لنتعلم القرآن فهو مراد الله منا، فلو اجتمع كُلٌ بأهله وتدارسوا مثلًا سورة الحجرات، فتعلموا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذينَ ءامَنوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسىٰ أَن يَكونوا خَيرًا مِنهُم وَلا نِساءٌ مِن نِساءٍ عَسىٰ أَن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ وَلا تَلمِزوا أَنفُسَكُم وَلا تَنابَزوا بِالأَلقابِ بِئسَ الِاسمُ الفُسوقُ بَعدَ الإيمٰنِ وَمَن لَم يَتُب فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰلِمونَ﴾ [الحجرات: ١١]، فتخيلوا إن نتدارس الجميع هذه السورة المليئة بالآداب كيف سيكون الوضع؟،

وكذا سورة مريم، وسورة النور بكل ما فيهما من أحكام، فالواجب علينا أن نعيد مركزية القرآن في حياتنا، فهو لم ينزل لمجرد القراءة، وإن لم نعِ ذلك سنبقى بعيدين عن الإسلام كله، أحد الكُتَّاب لديه كتاب فكري من أجمل الكتب: [مآلات الخطاب المدني] ، قال في بداية كتابه هذا: "لأكتب هذا الكتاب، عرضت أسئلتي على القرآن، فلمّا عرضتها على القرآن؛ وجدت الإجابات كلها فيه، فبدأت أسجل " طيلة هذه الثلاثة أشهر وهذا دأبه، تأملوا: ختم القرآن في ثلاثة أشهر!، ونحن نختم في شهر واحد عشر ختمات، وهو قد ختمه في ثلاث، لماذا؟ لأنه قرأه قراءةً عملية، وحاول أي يجد إجابات أسئلته؛ فخرج بهذا الكتاب البديع.

فمهم أن تعرض نفسك على القرآن، وتعرض إجاباتك وحياتك وتتدارس القرآن، وأن يكون هذا في كل بيت ومجتمع، فالجيران يجتمعون عند مدرس خاص من دور التحفيظ أو غيره، والمهم أن يكون شخصًا ثقة، فكتب التفسير موجودة، ولا عذر لنا بهذا الجهل.

السادسة احمل هم القبول وأكثر من الاستغفار

أمرنا الله عز وجل بعد كل طاعة أن نسأله القبول وأن نستغفر، كما فعل أبينا إبراهيم عليه السلام الذي بنى البيت، كان يقول وهو يبنيه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[البقرة:١٢٧]**، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[البقرة:١٢٨]**، وكان السلف الصالح يمكثون ستة أشهر يرجون ويسألون الله عز وجل أن يبلغهم رمضان، وبعد أن يُنوِّلهم الله مرادهم؛ يمكثون ستة أخرى يسألون الله أن يتقبله منهم، فحدثوني، ما أخبار السؤال؟ هل دعوت الله أن يتقبل منك اعتكافك في رمضان؟ أن يتقبل دعاءك بالعتق؟ ماذا لو لم تكن ممن أُعتقوا في رمضان؟! ماذا لو كنت ممن لم يُغفر لهم؟!، هل دعوت الله ألا يجعلك أشقى الخلق؟ هل استرضيته وسألته الغفران؟.

شتّان ما بين من يطرق الباب مرة واحدة ثم يتوقف وبين من وقف حين لم يبق أحد، حين ولّى الجميع وانصرف ظل واقفًا عند الباب يستغيث ويناجي ويبتهل، "يا رب اغفر لي يا رب اعتقني" وما زال هذا سؤله حتى يلقى الله سبحانه وتعالى، فاحمل هم القبول في رمضان، وأكثر من الاستغفار؛ لأن الاستغفار يرمم ما نقص

هذه كانت ستة وصايا فقط نتواصى فيها بعد رمضان أسأل الله أنْ يجعلني وإياكم من المقبولين فيه، وأن يجعلنا فيه من الفائزين، وأن يغفر لنا ويرحمنا، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها